

والأدهى والأمرّ توهين الشخصية وأسر العزائم في أصحاب المشاعر النقية والوجدان الطاهر بإيجاءات من قبل المفكر فلان، والعالم علان والدولة الفلانية! ثم بمرور الزمان، صرنا نحكم فلاناً وعلاناً في تفكيرنا وسلوكنا، فأصابونا بأنواع من دوار الرأس وازورار المحاكمة وانحراف الملاحظة وانزلاق الشخصية. فأصبحت الأرواح المستسلمة تمام الاستسلام خاصة، بأعطاب رهيبية من المحال إصلاحها. وكان الأصل أن لا نؤمن أو نرضى بإرادة ما حققنا فيها ولا محصناها، ما عدا الإرادة الإلهية.

يقول ديكارت: "لا قيمة للفكر ما لم يتمتع بالحرية". أما كان ينبغي أن نفكر على الأقل مثل ديكارت لتخليص أرواحنا من نظم التفكير السكولاستيكية البالية والمتعفنة في معظم جوانبها. ولكن هيهات!

يجب على الأجيال المنورة آفاقها الدنيوية - الأخروية، التي ستعين معالم تكوّنات يبدو أن لا فكاك من حدوثها في العالم في السنوات القادمة، أن تعيد النظر في الأفكار والمعادلات والأنظمة، الواردة إلينا من الخارج أو المُشكّلة في الداخل، وتطهير المجتمع من "لوثيات" التغريب،^١ وشده بجذور معانيه الذاتية... وذلك حتى يستطيع الحفاظ على جوهره وشخصيته، ويتقدم إلى مستقبله على خطه الذاتي أثناء التعايش الحميم مع العالم... وحتى يطلع على التفاف الماضي بالحاضر إذ يتقدم، فلا يشيح بوجهه عن الماضي لأنه قديم، ولا يقبل على كل ما يظنه طرياً من غير بصيرة لأنه جديد. إن أبرز خصال جيل الضياء هذا، أن

١ المقصود مما تلطخ بالمجتمع من آثار الاغتراب عن الذات، وليس "التغريب" هنا منسوباً إلى الغرب حصراً. (المترجم)